بين المعنى واللامعنى

أحوالنا المأزومة لا تخلو من الفائدة. قد تكون ازمة ما قاتلة ولكن ثمة ازمات تنتج من تطور الحياة.

يمكننا ان نميز، من الوجهتين الفردية والجماعية في التاريخ، بين الحقب والعصور، الحقبة زمن لا يحصل فيه اي شيء يذكر، فلا قرارات هامة بل اندفاعات، اما العصر فيجري فيه شيء يذكر عبر حرية تميز الانسان اكثر من سواها وتحرك مسير الامور. العصر مرحلة حاسمة في تاريخ البشر.

لا شك في اننا نعيش في عصر علينا ان نتخذ فيه قرارات معينة. قيمتنا بقيمة قراراتنا. وكذلك اصالتنا.

الزمن المأزوم، كالذي نحيا فيه، ينبغي ان يتجلى زمن يقظة – لا رقاد قد يكون قاتلاً – وزمن تفاؤل. والازمة الحاضرة قد تتخذ ظاهراً دينياً وطائفياً، ولكنها ازمة حضارية تضع كل مجتمعات الارض في اطار من الحلقات الجهنمية من الفعل ورد الفعل.

تتصف الازمة الحضارية اليوم بالفجوة القائمة بين تحكم الانسان المتزايد في مجمل امكانياته التقنية والاقتصادية والسياسية والثقافية... وغياب اهداف مشتركة تتفاقم المعاناة منه يوماً بعد يوم. [redacted] وتقدم متزايدان على صعيد الامكانات ولا معقولية على صعيد الاهداف.

يصعدون الى القمر وسواه ويفتتون الذرة اكثر واكثر، فهل الباعث الى ذلك هو الانتحار ام الرفاهة؟ فان كان للانتحار فلا فائدة منه، وإن كان السعي وراء الرفاهة، فلمَ، وليعملوا او ليكونوا ماذا؟.

ما معنى الوجود على الرغم من توافر العدل والمحبة احياناً؟ ولماذا هناك شيء ولا لا شيء؟ وعلى الصعيد العملي يمسي السؤال: لماذا يجب ان يكون هناك نمو وقدرة وازدياد؟ الى اين يوصلنا ذلك؟ هذه هي اشكالية معنى الحياة ولا معناها.

الصداقة لها معنى والثقافة لها معنى، وهذا شأن التقدم الاقتصادي والاجتماعي وتقدم العدالة في العالم... ولكن، هناك لا معنى. فالفتاة المصابة بالسرطان والتي ستموت بعد بضعة اشهر، والاب الذي رزق اربعة اولاد ومات فجأة بسبب ضربة مكبح خرقاء على طريق مبلل... يجسدان وسواهما اموراً غير معقولة وامام اللامعقول يغدو التمرد موقفاً صائباً..

وما الذي سيتغلب في آخر الامر: المعنى ام اللامعنى؟ وهل من قادر على اضفاء معنى اخير، هو عمق بكثير، على ما كان له معنى، وقادر على إضفاء معنى على ما لا معنى له؟

د. جهاد نعمان